المحاضرة:05 حاشية الصبان على شرح الأشموني على الفية ابن مالك (1206هـ)

تمهيد

ازدهر الاشتغال بالمتون والشروح والحواشي في التأليف النحوي في عصري المماليك والعثمانيين (فيما بين القرنين الثامن والثالث عشر هجري) اللذين كان لهما السلطة على البلاد العربية، وقد تبوأت مصر والشام دار العلماء وطلاب العلم من كل صوب. وعرف هذا اللون من النظم وشروحاته في كل العلوم؛ فقد أقبل الناظمون على النظم ليسروا على الطلاب سبل الإلمام بالمعارف وحفظها وسرعة استحضارها وقت الحاجة، فجاءت على سبيل المثال منظومتا ابن مالك الطويلتان (الكافية الشافية) و (الخلاصة الألفية)، ومنظومة الشاطبي الجامعة في القراءات. وإن الزعم بأن هذه المؤلفات لم تضف جديدا، وإنما هي قواعد متحجرة كان هم العلماء شرحها فحسب هو زعم لا يقره الواقع؛ ذلك أن تعدد المتون وتنوع الشروح والحواشي قد كون - في حقيقة الأمر - ثروة علمية عظيمة خلدت مع الزمان، وحفلت بالمعارف المفيدة والآراء السديدة والنظرات المبتكرة، إضافة إلى ميزة أخرى هي أن هذه المنظومة التأليفية حفظت نصوصاً من أصول ومصادر ضاعت من يد الزمن، ولم تصلنا غير أسمائها. وليت شعري كيف تكون كافية ابن الحاجب وألفية ابن مالك وشروحهما قواعد متحجرة؟[1]

1) ترجمة الصبان:

هو أبو العرفان الشيخ مُحَمَّد بن علي الصبان الشافعي، ولد بمصر وحفظ القرآن والمتون واجتهد في طلب العلم وحضر على أشياخ عصره وجهابذة مصر وشيوخه، ولم يزل الشيخ الصبان يخدم العلم ويدأب في تحصيله حتى تمهر في العلوم العقلية والنقلية وقرأ الكتب المعتبرة في حياة أشياخه، وربى التلاميذ واشتهر بالتحقيق والتدقيق والمناظرة والجدل وشاع ذكره وفضله بين العلماء بمصر والشام.

ومن مؤلفاته: حاشيته على شرح الأشموني التي سارت بها الركبان وشهد بدقتها أهل الفضائل والعرفان ...ورسالة في علم البيان، ورسالة عظيمة في آل البيت، ومنظومة في علم العروض وشرحها، ونظم أسماء أهل بدر، ومنظومة في

---

1 عبد الله بن عويقل السلمي المتون و الشروح و الحواشي والتقريرات في التأليف النحوي https://library.tebyan.net/fa/Viewer/Text/113663/11.

مصطلح الحديث ستمائة بيت، ومثلثات في اللغة... توفي الشيخ الصبان في سنة 1206هـ.1

2) ترجمة الأشموني:

هو علي بن مُحَمَّد بن عيسى بن مُحَمَّد الأشموني الأصل ثم القاهري الشافعي نور الدين أبو الحسن. فقيه، أصولي، مقرئ، نحوي، متكلم، ناظم. من تصانيفه: شرح ألفية ابن مالك، ونظم منهاج الدين للحليمي في شعب الإيمان، ونظم جمع الجوامع في الأصول، والينبوع في شرح المجموع في فروع الفقه، ونظم إيساغوجي في المنطق.

قيل إن وفاته كانت: نحو سنة 900هـ، وسنة 918هـ، وسنة 929هـ، وغير ذلك.2

3) حاشية الصبان:

رسم الصبان فى مقدمة الحاشية الخطة التى سيتبعها فيها ، وأنها تقوم على ثلاثة عناصر : تلخيصه زبدة ما كتبه السابقون قبله على شرح الأشمونى ، وتنبيهه على ما وقع لهم من أسقام الأفهام ، وتعليقه مما فتح الله به عليه فاهتدى إليه . كما رسم اصطلاحًا خاصًّا فى الإشارة إلى أسماء السابقين ومنهم الحَفنى الذى التزم التعبير عن اسمه بلفظ « البعض » .

أما العنصر الأول ، فالصبان فيه مواتٍ موفق .

وأما العنصر الثانى ، فإنه فيه عادل ، رائده تبيان الحقيقة العلمية مع غير الحفنى ، فإنه تحامل على الحفنى فى شدة وعنف لا سجاحة معهما ، وأسرف فى التشهير به متجاوزًا العرف التقليدى فى رد العلماء بعضهم على بعض حتى فى الهنات الهينات .

وأما العنصر الثالث ، فالصبان فيه بحق السابق المجلى فى الكثير ، إذ لم يسلم فى القليل إلى غير ذلك مما أخذه عليه من اللوم فى أمور تتصل بالناحية العلمية ، وبالاستطراد إلى غير النحو .

4) مثال من الحاشية:

خطبة الكتاب:

---

1 محمد بن علي الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط1، 1417 هـ - 1997م، 1 / 1.

2 تنظر ترجمته في معجم المؤلفين "7/ 38، 184، 225" والأعلام "5/ 10"

3 حاشية الصبان شرح الأشموني على الفية ابن مالك،تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة الوقفية ، 1ص:26،23.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال مُحَمَّد هو ابن مالك ... أحمد ربي الله خير مالك

•----------•

بسم الله الرحمن الرحيم

"قال مُحَمَّد هو" الإمام العلامة أبو عبد الله جمال الدين بن عبد الله "ابن مالك"

•----------•

قوله: "قال مُحَمَّد" فيه التفات من التكلم إلى الغيبة إن روعي متعلق البسملة المقدر بنحو أؤلف أو تأليفي فإن لم يراع كان فيه التفات على مذهب السكاكي المكتفي بمخالفة التعبير مقتضى الظاهر. وأتى بجملة الحكاية ولم يتركها خوفا من الرياء لقصد الترغيب في كتابه بتعيين مؤلفه المشهور بالجلالة في العلم والإخلاص فيه وبالانتفاع بكتبه وهذا أرجح من مراعاة الحذر من الرياء خصوصا مع الأمن من ذلك كما هو حال المصنف، ولم يقدمها على البسملة أيضا ليحصل لها بركة البسملة ولئلا يفوت الابتداء الحقيقي بالبسملة ولم يؤخرها عن الحمدلة ليقع اسمه بين الجملتين الشريفتين فتحيط به بركتهما فاحفظه.

قوله: "العلامة" معناه لغة كثير العلم جدا لأن الصيغة للمبالغة والتاء لزيادتها وكثرة العلم جدا تحصل بالتبحر في أنواع من الفنون فما اشتهر من أنه الجامع بين المعقولات والمنقولات لعله اصطلاح لبعضهم. قوله: "جمال الدين" هذا لقبه أي مجمل أهل الدين. فإن قيل كل من جمال الدين ومُحَمَّد يشعر بالمدح فجعل أحدهما اسما والآخر لقبا تحكم، قلت يؤخذ جواب ذلك مما بحثه بعض المتأخرين ونصه: والذي يظهر أن الاسم ما وضعه الأبوان ونحوهما ابتداء كائنا ما كان، وأن ما استعمل في ذلك المسمى بعد وضع الاسم فإن كان مشعرا بمدح كشمس الدين فيمن اسمه مُحَمَّد أو ذمّ كأنف الناقة فيمن اسمه ذلك فلقب، أو كان مصدّرا بأب كأبي عبد الله فيمن اسمه ذلك أو أمّ كأمّ عبد الله فيمن اسمها عائشة فكنية، وعلى هذا يصح ما حكاه ابن عرفة فيمن اعترض عليه أمير إفريقية في تكنيته بأبي القاسم مع النهي عنه فأجاب بأنه اسمه لا كنيته. نقله شيخنا عن الشنواني... والظاهر أن الموضوع للذات ابتداء مُحَمَّد فهو الاسم، والموضوع ثانيا مشعرا جمال الدين فهو اللقب. قوله: "ابن عبد الله بن مالك" قد يتوهم من صنيع الشارح أنه جر ابن مالك صفة لعبد الله وليس كذلك لأنه يلزم عليه تغيير إعراب المتن وحذف ألف ابن مع أنها واجبة الثبوت في المتن بل هو باق على رفعه

فيكون بالنظر إلى كلام الشارح خبرا آخر لهو فاعرفه. فإن قلت في قول المصنف هو ابن مالك الباس لإيهامه أن مالكا أبوه. قلت هذا الإلباس لا يضر هنا لأنه ليس المقصود هنا بيان نسبه بل تمييزه عمن شاركه في اسمه وهو إنما يتم بهذه الكنية لغلبتها عليه دون غيرها قاله سم، وأيضا فيها تفاؤل بملكه رقاب العلوم. والأكثر حذف ألف مالك العلم وإن كان رسمها أيضا جيدا ومنه رسمها في: {وَنَادَوْا يَا مَالِك} [الزخرف: 77] في المصحف العثماني ويجب رسم ألف مالك الصفة كالذي آخر لبيت. وأما رسم مالك يوم الدين بدونها فيه فلأن الخط العثماني لا يقاس عليه مع أنه لا يرد على قراءته بدون ألف.[1]

1 محمد بن علي الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، 1/ 12.

المحاضرة: 05 « الخصائص» لابن جني (332هـ ـ 392هـ)

أولا: التعريف بالمؤلّف :

سبق التعريف بابن جني في المحاضرة السابقة الرابعة. والحقيقة أنّ الكتاب المقرّر في البرنامج هو « حاشية الصبان على شرح السيرافي»، لكنّني لمْ أعثر عليه فاستَبْدلْته بـ كتاب « الخصائص» لابن جني .

ثانيا : التعريف بالكتـاب :

1 ـ عنوانـه:

هو كتاب يبحث . عموما . في خصائص اللغة العربية ، ومن ثمّ جاءت هذه التسمية. يقول في مقدّمته:"وأجمعه للأدلّة على ما أوْدَعتْه هذه اللغة الشريفة من خصائص الحكمة ونبطت به من علائق الإتقان والصّنعة"[1].

2 ـ مقدّمته:

بدأ مقدّمة كتابه بمدح بهاء الدولة الذي تولّى الملك في بغداد ما بين(379هـ . 402 هـ)، ثمّ أخبر أنّه منذ زمن منشغل في تأليف هذا الكتاب، الذي هو مِنْ أشرف ما صنّف في علم العربية، ولا يتّسع الوقت لجمع شوارده. كما أنّ أحدا من العلماء لم يتعرّض لعمل أصول النحو، على مذهب أصول الكلام والفقه، ومن تعرّض منهم لم يَفِ بالغرض. وأخيرا بيّن الداعي المباشر في التأليف[2].

3 ـ دوافع تأليفه:

يظهر من مقدّمة ابن جني أنّه ألّف كتاب «الخصائص» لبهاء الدولة حيث أهداه إليه . ويُفهم منْ كلام ابن جني أنّ الهدف من تأليفه ليس الخوض في المسائل اللغوية الجزئيّة ، وإنما النظر في القضايا الكلية وفلسفة اللغة. ويمكن . أيضا . أن نستنتج الأسباب التي دفعته إلى تأليفه هي:

- أن موضوعه من أشرف ما صنّف في علم العرب .

---

[1] . ابن جني ، الخصائص ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط 4 ، 1 / 1 .

[2] . الخصائص ،1 / 1 .

• صعوبته وتحاشي العلماء الخوض فيه .

• طلب أحدهم أنْ يؤلف في هذا الموضوع، حيث يقول:" ثم إن بعض من يعتادني، ويُلم لقراءة هذا العلم بي، ممّن آنس بصحبته لي، وأرتضي حالى أخذه عني، سأل فأطال المسألة، وأكثر الحفاوة والملاينة، أن أمضي الرأي في إنشاء هذا الكتاب، وأوليه طرفًا من العناية والانصباب. فجمعت بين ما أعتقده من وجوب ذلك علي، إلى ما أوثره من إجابة هذا السائل لي"[1].

4 ـ مضمونه:

يبحث الكتاب . عموما . في خصائص اللغة العربية ومشكلاتها؛النظر في القضايا الكلية وفلسفة اللغة ، بعيدا عن الخوض في المسائل اللغوية الجزئيّة. وكتاب(الخصائص) لم يتضمّن موضوعا واحدا ، بل شمل مختلف علوم العربية . ويبدو أنه كتاب في أصول النحو.

قسّم ابن جني كتابه إلى أبواب عددها مئة واثنان وستون (162) بابا، موزّعة على ثلاثة أجزاء :

الجزء الأول: أربعة وخمسون (54) بابا .

الجزء الثاني: خمسة وخمسون(55) بابا .

الجزء الثالث: ثلاثة وخمسون (53) بابا .

وهي أبواب كثيرة ومختلفة، منها : مباحث لغوية عامة : كتعريف اللغة ونشأتها وتطورها وتفرّعها إلى لهجات. مباحث متّصلة بمنهج البحث اللغة. كالاحتجاج، اختلاف اللغات وكلها حجة. مباحث متصلة بمستويات الدراسة اللغوية:الصوتي،الصرفي، النحوي، الدلالي[2].

إضافة إلى مباحث أخرى حواها الكتاب مثل: مباحث متّصلة بعلم العروض، علم البلاغة.

---

[1] . الخصائص ،1/ 3 .

[2] . ينظر: دوكوري ماسيري ، مستويات التحليل اللغوي عند ابن جني من خلال كتابه الخصائص ، مجلة (مجمع) ، جامعة المدينة العالمية ، ماليزيا ، العدد: 6 ، السنة: 2013 ، ص43.

وما يلاحظ أن المباحث متداخلة فنجد في الباب الواحد شيئا من علم الصرف ، وشيئا من علم الأصوات أو نجد كلاما في الصرف وآخر في الدلالة وغيرها[1].

5 ـ خصائصه :

• تحليل الموضوع بعمق، ومن كافة زواياه .

• لم يكن ابن جني حافظا ناقلا، بل كان ذا عقلية علمية جدلية، لا تسلم بالأمر إلا بعد اقتناع[2].

• استعماله الأسلوب المنطقي في الجدل واعتماده على الحجج العقلية في توضيح مراده .

• اعتماده على ما كان يمليه عليه أستاذه أبو علي الفارسي في كثير من الأمور التي أوردها.

6 ـ أهميته:

ابن جني من أعلام اللغة الأوائل في القرن الرابع الهجري، بلغ في العربية مرتبة عالية، وله مكانته في الدراسات اللغوية. كان يقصد في كتابه " الخصائص" إلى بيان خصائص اللغة العربية . فهو أحد أهم مصادر فقه اللغة العربية رغم أنه لا يحمل في عنوانه اسم هذا العلم . فقد فتح ابن جني في كتابه أبوابا جديدة في العربية. وهو مليء بالحجج والأدلة الشعرية والنثرية عن العرب الفصحاء وبالشواهد من القرآن الكريم، خاصة أن ابن جني خُتمت به الفصاحة. وأهمية الكتاب ليس في عصره فحسب، بل في وقتنا الحاضر أمام ما توصّلت إليه الدراسات الحديثة. فهو يضارع ما يظهر اليوم في الغرب من أبحاث لغوية جادة وعميقة[3]. من ذلك : يُعرّف اللغة بقوله:" فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[4]. وفي (باب في هذه اللغة)[5]. ذكر أنّ اللغة تتطور وتتجدّد ، ومن

---

[1] . ينظر: محمد النادري، فقه اللغة مناهله ومسائله، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ، ط1،2005، ص56 .

[2] . ينظر:عز الدين إسماعيل، المصادر اللغوية والأدبية في التراث العربي، دار النهضة العربية، بيروت ،1977، ص343.

[3] . ينظر: عز الدين إسماعيل ، المصادر اللغوية والأدبية في التراث العربي ، ص344 .

[4] . ينظر: الخصائص ، 1 / 34 .

[5] . ينظر: الخصائص ، 2 / 30 .

أسباب ذلك الحاجة . وهي فكرة لا تكاد تختلف عما يقرره اللغويون المحدثون من أنّ الحاجة الإنسانية كانت السبب في تطوّر اللغة .

7 ـ مآخـذه :

لا شكّ أنّ كتاب (الخصائص) له أهميته . كما سبق . ، وله قيمته الكبرى ، إلا أنّه لم يخلُ من بعض المآخذ ، مثل تنوّع علوم اللغة والموضوعات فيه ، ما يُبعده عن التخصّص . وتداخل مستويات التحليل اللغوي . ولعلّ هذا من سمات مؤلفات القدماء. وأيضا الإغراق في التعليل النحوي لدرجة إنكار البعض عنه . يقول السامرائي عنه:" وقد كان مسرفا في ذلك ، يحاول بكلّ ما أوتي من قوّة فكر وحدّة طبع استخلاص العلة وإن كانت بعيدة "[1].

[1] . فاضل صالح السامرائي ، ابن جني النحوي ، دار النذير ، بغداد ، 1969 ، ص207 .